مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الاول سنة ١٩٥٠ ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٩

اتجاه الأدب الحديث الى الريف

الحياة الريفية : وهي تشمل كلّ ما يتعلّق بالقرى وأحوال سكانها . وقد كان من الممكن الحاقها بباب الاتجاه القومي لأن القرويين طبقة من طبقات الشعب . على أنّ للريف اتصالاً وثيقاً بالطبيعة ومن العسير جداً فصلها من الناحية الادبيّة . ولذلك رأينا أن نفرد لها هذا الفصل فنتحدّث عن خصائص كلٍّ منها ومدى أثره في أدبنا الحديث وأوّل ما يسترعي انتباهنا أن الأدب العربي القديم لم يهتمّ اهتماماً خاصاً بالحياة القرويّة فهو اذا ذكرها ذكرها عَرَضاً في سياق غرض من الأغراض . كما فعل النابغة في داليته التي يعتذر بها الى النعمان فهو يقفُ قليلاً في دار ميّة واصفاً ما شاهده من آثارها . يقول :

وقفت فيها أصيلاناً اسائلها عيّت جواباً وما في الربع من أحدِ
الاّ الأواريّ لأيّاً ما أبيّنها والنُّؤي كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
رُدّت عليه أقاصيه ولبّدهُ ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأدِ
خلّت سبيلَ أتيٍّ كان يحبسهُ ورفّعته الى السجفين فالنَّضدِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهذا مشهد بدوي ريفي ولكن الشاعر لم يقصد اليه ولم يجعله موضوع تأملاته وانما وصفه توطئة لما يقصد اليه من الوصول الى أميره والاعتذار اليه . وعلى هذا النحو ما جاء للمتنبي من وصف فتيات البادية وتفضيلهن على فتيات الحضر إذ يقول :

حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ ... وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ
أين المعيز من الآرام ناظرةً ... وغير ناظرةٍ في الحسن والطِيبِ
أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفنَ بها ... مضغ الكلام ولا صَبغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمّام بارزةً ... أوراكهنَ صقيلات العراقيبِ

والأبيات مشهورة وهو انما جاء بها تمهيداً يتخلّص منه الى مدح سيّد مصر كافور وقد وفّق في وصفه وتصويره ولكنَ ذلك لم يكن غرضه الرئيسي . وله من هذا القبيل أبيات أخرى ولا عجب فقد عرف البادية واختبر الحياة فيها واكتسب كثيراً من مزاياها . وقد سبق المتنبيَ الى وصف الحياة البدوية والتباهي بما اكتسبته من صلابة وقوّة كثيرون من الشعراء وانا نشير إشارةً خاصّةً الى لاميّة العرب المنسوبة الى الشنفرى حيث يحاول الشاعر ان ينفي عنه معرّة التخنث الحضري فيحدّثنا عن نفسه وهو في البيداء مصاحباً لوحوشها مسابقاً لطيورها محتملاً شظف العيش فيها . وقد تجد في الأدب القديم حنيناً الى حرّية البادية يمثّله هذه الأبيات المنسوبة الى ميسون امرأة معاوية وهي فتاة من بني كلب أسكنها معاوية قصره في دمشق فشقَ عليها فراق أهلها وطلاقة العيش بين أترابها ونفّست عن نفسها الكربة بأبيات منها :

ولبسُ عباءةٍ وتقرَ عيني ... أحبُ اليَ من لبس الشفوف
وبيت تضرب الأرياح فيه ... احبُ اليَ من قصرٍ مُنيف

فالأدب القديم ليس خلواً من هذه النزعة الريفية على أنه قلّما عُني بها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا نجد بين القدماء كما نجد في هذا العصر من اتخذ القرية باباً أدبياً مستقلاً أو موضوعاً عاماً يبثّون فيه خوالج نفوسهم ويفتنّون بعرض أفكارهم وتخيّلاتهم .

ان النزعة الريفية اليوم ظاهرة بارزة في الأدب العربي وتتجلّى لنا في ثلاث وجهات رئيسية هي : الوصف والاشفاق والحنين .

الوصف : وهو باب واسع وقلما ترى قطراً عربياً يخلو ممّن شغفهم جمال الحياة القروية فصوّروها كلٌّ بحسب ما توحيه اليه بيئته الخاصّة . ففي مصر مثلاً نرى مصطفى صادق الرافعي يقف في قصيدته « دموع الفجر » لدى العزبة المصرية معجباً بمشاهدها الساحرة واصفاً جمال الفتاة القرويّة وقد بكرت لتملأ جرّتها . وهو يقابلها على طريقة المتنبيء بفتاة المدينة فيقول [١] :

مكحّلةٌ ولا كحلٌ ولكن ... سَلِ الظّبيات عن ذاك الصّنيعِ
فذاك الحسنُ لا ما تشتريه ... ضرائرها من الحُسن المبيعِ

وتحدوه المقابلة الى ذمّ المدن وما فيها من أسباب الشقاء والهموم .

وللرافعي نشيدٌ قرويّ وضعه على لسان فلاّحة مصرية يصوّر فيه حياة الفلاّحين ويحاول التعبير عن شعورهم وحاجاتهم [٢] .

ومثل الرافعي احمد محرّم في قصيدته « الطبيعة وفتاة الريف » [٣] . وفيها يذهب الى ان كمال الأخلاق وقفٌ على الريفية وان الحبّ النقيّ انما هو الناشيء في بساطة البيئة القروية لا في المنتديات الحضرية . وعلى هذا الوتر نفسه يضرب في قصيدته « الريف المصري » [٤] حيث يذكر الفلاّح وخدماته الجلّى لمصر فيقول :

(١) ديوانه ج ١ (١٣٢١ هـ) ص ٤٧ .
(٢) راجعه في ديوان النظرات ٦٩ وراجع له أيضاً فيه « زهرة فول » ص ٣٨ .
(٣) راجعها في كتاب شعراء العصر الحاضر (الحسنين) ص ٢١٧ .
(٤) الهلال ١٠ ٥١٠ - ٦١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كم من غنىً وافٍ ورزقٍ واسعٍ لبني البلاد على يديكَ متاحِ

ثم يصف جمال الريف ومتعة الحياة فيه ويهيب باهل المدن ان يعودوا اليه ليتمتّعوا بهناء العيش وبركاته .

وقد طرق باب الوصف الريفي عدد غير قليل من شعراء مصر [1] على ان امام الريفيين في وادي النيل هو محمود حسن اسماعيل وتبرز شاعريّته في ديوانيه «أغاني الكوخ» الذي ظهر سنة ١٩٣٥ و «هكذا أغنّي» ١٩٣٨ .

ومن ريفيّاته «وطن الفأس» وقد وطّأ لها بقوله [2] : ظلّت القرية المصرية الى عهد قريب منبوذة عن الفنون القومية وبخاصّة الأدب . فلقد انحرف عنها سمته حتى على يد أكبر الأدباء والشعراء في مصر ذيوعاً وشهرةً إمّا لصَلَف في الأقلام أغرتها به نزعة التحضّر ومصانعة المدنيّة العصريّة الزائفة حرصاً على مسايرة أذواق الجماهير ، وامّا لموت الاحساس الفنّي الصادق الذي يتجاوب مع البيئة ويترجم عن أثرها فيه ، وإمّا لهما مجتمعَين » .

في هذه القصيدة يحوّل الشاعر أنظارنا الى الفلاّح وعمله المجدي فيقول :

حملتْ فأسُهُ من الغيب سرّاً حيّر العقلَ كامنٌ من صفاتِه
حَطَبٌ يابسٌ يمرّ على الصخـــر فتزهو الورودُ في جَنَباتِه

ولكنّ هذا الفلاّح الذي يتعب ليستخرج الخير من جوف الأرض لا ينال من الخير شيئاً . فهو عند الشاعر معذب في حياته . يعتني بنبات الحقل فيعطف

(١) راجع مثلاً : قصيدة « ذات القميص الأزرق » لابراهيم علي في الرسالة ١ ع ٢٤ .
قصيدة « في الريف » لمحمود غنيم في الرسالة ٢ ص ١٤٣ و « على ضفاف الغدير » الكاتب ١ ع ٧ .
قصيدة « بنت القرية » لمحمود الخفيف في الرسالة ٧ ص ٢٣٠٨ .
قصيدة « في بعض قرى السودان » للتيجاني المقتطف ١٠١ - ٢٦٨ .
قصيدة « الريف في مصر » احمد محفوظ مجلة الكاتب المصري ٣ - ٤٩٩ .
قصيدة « نشيد الحصاد » لمحمد محمود ديوان البعث ١٥٨ .

(٢) هكذا أغني ١٠٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه النبات ولكن الانسان الذي يتمتع باتعاب الفلاّح لا يهتمّ به ولا يكترث لحاجاته وآلامه .

أتؤاسيه في الضحى نبتةُ الحقـــلِ ويغضي الانسانُ عن حسراته
كم صبا السُّنبلُ الحبيب اليه ساكبًا بين راحه قبُلاتِه
عشق الزهرُ كفّه فتمنّى خُلدَ أطرافها على ورقاتِه

ومن القصائد التي تذكر لمحمود حسن اسماعيل: « الشادوف[1] » وهو اداة مصرية قديمة ترتكز على ضفّة النيل لرفع الماء الى الحقول المجاورة . و « في ليالي الحصاد »[2] حيث يربنا السُّنبلةُ تحتضر والنورج يتكلّم . و « دخان الكوخ »[3] ويتخيّله الشاعر لسان شكوى ترفعه القرية لما أصابها من اهمال وحرمان .

وما نراه من الوصف الريفي في وادي النيل نراه على ضفاف الرافدين . فالشاعر العراقي مهدي الجواهري يحملنا في قصيدته « الطبيعة والقرية »[4] الى قرية عراقية فيصف لنا مناظرها ثم يدخلنا الى بيوت الفلاّحين ويُطلعنا على طرق معيشتهم وما يشعرون به من حزن او سرور . وهو يعزو اليهم الذكاء والقناعة والصبر على البليّة والاطمئنان المتأتّي عن الايمان والتسليم لمشيئة الله . وعنده ان الحياة بينهم تطرد التشاؤم والشقاء اللذين تقتضيهما قيود المدنيّة الثقيلة ومطاليبها المرهقة ، يقابل محيط المدينة بمحيط القرية فيقول :

قلتُ إذ ربع خاطري من محيطٍ كلُّ ما فيــه مُوحش وكئيبُ
ليس عدلاً تشاؤم المرء في الدنيـا وفيها هذا المحيط الطروبُ

ولا يزال للحياة البدوية تأثير في نفوس شعراء الرافدين المتصلين بالبادية

---

(١) راجعها في « هكذا أغني » ١٠٨ وفي الشادوف أيضاً قصيدة لمحمد الجبلاوي تجدها في الهلال ٥٠ – ١٠٤١ .
(٢) راجعها في « هكذا اغني » ٢٢٧ .
(٣) راجعها في « هكذا اغني » ١٣٦ .
(٤) ديوان الجواهري (١٩٣٥) ١ – ٦٩ وهي نحو مئة بيت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو المجاورين لها . ومن ذلك قصيدة لمحمد الفراتي يصف لنا فيها ليلة ماطرة قضاها في بعض أحياء البدو الضاربين في نواحي دير الزور [١] . فيذكر ان المطر ألجأه ليلاً الى مضرب بدوي وقد رقد السمّار ، ويقصّ علينا ما لقيه من حسن الضيافة وجميل العشرة . ويتخلّل الحديث وصف المطر في البادية وحال البدو ومتكارمهم وحرّية النفس في الفلاة . وهذا الشاعر يمثل عشاق البادية في قوله من قصيدة أخرى [٢] :

أنا ابن الفيافي حيث حلّت مطيتي تعزُّ فيحمى رعيها وذمارها
أليس غريباً أن تقيم ببلدةٍ على الضيم نفس والإباء شعارها

على أن للشعر القروي في لبنان صبغة خاصة يمتزج فيها الوصف بشيء من الاعتزاز الوطني . فاللبناني فخور بجبله وبالحياة المرحة فيه . وقد نشأ ذلك فيه أيام كان «لبنان الصغير» مقاطعة مستقلة ضمن إطار السلطنة العثمانية ، وكان الناس يقولون هنيئاً لمن له «مرقد عنزة» في جبل لبنان . أدرك العمران الجديد هذه المقاطعة المستقلة قبل سائر الأرياف الشرقية فازدهرت قراها بأموال المهاجرين والمصطافين وعمّها منذ استقلّت الامان والاطمئنان فأصبح الجبليّون فخورين باستقلالهم متمتعين من نعم الطبيعة والعمران بما لم يتهيأ لسواهم . وهذا هو أساس هذا الشغف الاقليمي الذي لا نزال نلمسه في أدبهم القروي . ولعل أفضل مثال يقدّم في هذا الباب هو ديوان الألحان لالياس أبو شبكة فهو يعكس لنا خوالج اللبناني الجبلي وشغفه بجبله كما ترى في هذا النشيد الذي نظمه بشكل محاورة بين راعٍ وحصّادين . واليك بعضه :

الراعي — حقولُنا سُهولُنا . كلُّها طربْ . كلُّها غنى
الشمس فيها ذهبْ . والسواقي مُنى

(١) ديوان الفراتي ١ — ٢١٨ .
(٢) ديوانه ١ — ٢٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحصادون — الى الحصادْ · جَنَى الجهادْ · قلبُ البلاد · يحيا بنا
هيّا احصدوا · وأنشدوا · الحبُّ قلبٌ ويد · والعمر زرعٌ وجَنى

الراعي — جبالنا نحبُّها · هذي العيونُ قلبها · هذي الجنانُ خِصبُها
حليُّها التفّاحْ · والعِنَبْ · ألحانُها الرياحْ · في القَصَبْ
وكلُّها لنا · وللبنين بعدنا

الحصادون — صغيرةٌ بين الدُّوَلْ · كبيرةٌ مثل الامل · كانت لنا ولم تزلْ —
بلادُنا · أجدادُنا · أولادُنا
زلالها ترياقْ · ترابُها أخلاقْ · وشمسُها ذهبْ
حليُّها التفّاحْ · والعِنَبْ · ألحانُها الرياحْ · في القَصَبْ

ومن أناشيده نشيد ألحان الصيف ومطلعه :

أَرجعْ لنا ما كانْ يا دهرُ في لبنانْ

ويختمه بما يلي — وهو ينمُّ على شعور الأسى لما فقده الجبل من جمال حياته الماضية :

أَرجعْ الى الوادي · فلاّحَه الغادي · وطيره الشادي
والرفشَ والمعولا · والموسم المقبلا
الى القلوب البأسْ الى العيون الجمالْ
وعزَّةً للنفسْ وراحةً لليال
أرجع لنا وجهنا يا دهر أرجع لنا
ما كان في لبنان

وفي نشيد آخر يوقفك أمام المعصرة والناس يعصرون العنب وكأنك تسمعهم يغنّون معه : ياعِنَبْ · شكل الدُّمى · لونُ السما والذهبْ
اليومَ فيك الندى · حلوى وخمرٌ غدا · عليك رؤيا الحَبَبْ — ياعنبْ
فيك انعصرْ · روح النجومْ · والقَمَرْ
وفي الكروم · مرَّ النسيمْ · فاختمرْ
وفيك ذابَ الصباحْ · معطَّر الأقداحْ · ودبَّ فيك اللَّهَبْ — يا عِنَب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأكثر ديوان الألحان على هذا النسق من التوشيح المشبع بالروح الجبلية اللبنانية . وقد حملها معهم المهاجرون الى ديار هجرتهم ورجّعوها أنغام حنين الى مرابعهم الأولى [١] .

ويجاري الشعر الأصولي في هذا المضمار الشعر العامي أو الشعبي . ومن أبرز أمثلته أناشيد ميشال طراد [٢] واميل مبارك وقد أصدر الأخير مجموعة بعنوان « أغاني لطيفة » وهي أناشيد قروية تمثل لك الحياة الجبليّة الهنيّة في لبنان وتدعو ابناء المدن الى التمتّع بها « كما تدعو المهاجرين الى ابقاء ذكرها حيّاً والعودة اليها » .

***

الاشفاق : وهو اما منبعث عن حال الفلاّح وما وصل اليه بسبب الظلم والاهمال والحرمان او عن حال القرية وما يخشى على الأوطان بسبب هجرة القرويين الى المدن من تأخر الزراعة التي هي ثروة الأمة الحقيقية . ويكثر النوع الأول (أي الاشفاق على الفلاّح) في الأقطار التي يسودها النظام الاقطاعي حيث تكون المزارع ملك أسيادٍ فلائل وأكثر الفلاّحين عمّالاً لأولئك الأسياد . على أن الفلاّح هناك قلّما يشعر بمبلغ انحطاطه وسوء حاله وهو عادةً مستسلم لأولي أمره لا يعرف إلا ما ألفه ودرج عليه . وأولو الأمر قلّما يهتمّون من شأنه إلاّ بما يعود عليهم بالخير والربح .

وانما يشعر بسوء الحال ويتألم من جرّاء الارهاق والاهمال فئة من ذوي الحسّ المرهف الذين نالوا نصيباً من المعرفة فتفتّحت عيونهم وتأثرت قلوبهم

(١) راجع ذلك في الفصل المخصص للنزعات النفسية في الأدب المهجري مجلة الأديب (بيروت) مج ٥ ع ٥ .

(٢) راجع له « غناني الضيعة » في جريدة الجمهور (بيروت) ١ ع ١١ ؛ و « غروب لبناني » في جريدة الجمهور (بيروت) ١ ع ٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودفعتهم الغيرة الوطنية او الانسانية الى المدافعة عن الفلاّح والمطالبة بحقوقه . كما فعل جميل الزهاوي في قصيدة له يذكر فيها سوء حال الفلاحين فيقول [١] : «أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا» وأحمد الصافي النجفي في قصيدته «الفلاّح» حيث تلمس ألم نفسه لرؤيته الفلاح يكدّ لا لخيره بل لخير الملاّك والمُرابي ـ يقول ـ [٢] :

رفقًا بنفسك أيُّها الفـلاّحُ تسعى وسعيُك ليس فيه فـلاحُ
هذي الجراحُ براحتيكَ عميقةٌ ونظيرُها لكَ في الفؤادِ جِراحُ
عَرَقُ الحياةِ يسيلُ منك لآلئًا فيزانُ منهـا للغنيّ وشاحُ

وهنا يشتدّ انفعال نفسه لما يراه من جور الملاّك وما يصيب الفلاّح على يديه من عنت وهوان فيصيح والحنق آخذ منه كل مأخذ :

يا غارسَ الشجر المؤمّل نفعهُ دَعْهُ فانّ ثماره الأتراحُ
إقلعْهُ فالثمر اللذيذ محرّمٌ للغارسين وللقويّ مباحُ

ثم يعدّد بلايا الفلاّح وشتّى الآفات التي تصيبه الى ان يقول متحسّراً :

يا ريفُ ان كتاب بؤسك مشكلٌ يعيـا بحلّ رموزه الشرّاحُ
اطيارُ روضك غالها باز العدى وعدا على أسمالك التمساحُ
يا ريفُ مالكَ شربُ أهلك آجن رَنِقٌ وشربُ ولاة أمرك راحُ

ومن هذا الباب ـ بضعة فصول لأحمد الزيات في كتابه «وحي الرسالة» . نذكر منهـا على سبيل التمثيل : الى القرية يا بك — جمعية نهضة القرى — ليالي الحصاد — القرية أمس واليوم . واليك بعض قوله [٣] : «لا تزال القرية كما كانت في القرون الخوالي — اكواخًا متلاصقة غرقى في المناقع والدّمن

(١) راجعوا في الرسالة (مصر) ٤ – ١٤٤ .
(٢) ديوانه «الأمواج» ٩ .
(٣) وحي الرسالة ٥٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا تبصر الشمس ولا تنشق الهواء ولا تعرف النظافة . تكوّمت في قاعها أرواث البهائم وزَرق الدجاج وتراكم على سطحها حطب الوقود وعلف الماشية . وتقاسم الانسان والحيوان المضاجع في هذه الحظائر المشتركة . ثمّ راض الفلاح نفسه مرغماً على الطعام الوخم والشراب الكدر والملبس الرثّ .... ذلك والعواصم المصرية تعيش في القرن العشرين تأخذ بمدنيّته وتقتبس من نوره وتنعم برفاهه كأنّ الصلة بين القرية والمدينة هي الصلة التي كانت بين العبد والسيّد يملك ولكن ملكه لسواه وينتج ولكن انتاجه لسواه » . وقريب من هذا كلمته المعنونة « بين الفقر والغنى »[1] .

ومن الشعر المشفق على الفلاح الداعي الى الاهتمام بأمره قول أحمد شوقي من قصيدة[2] :

قل للجداول والزروع تحدّثي في غير ما وجَلٍ ولا إشفاقِ
ماذا يمارس من شدائد دهرهِ من أنتِ كلُّ رجائهِ وبلاقي
ويلي على فلاّح مصرَ أما كفى ما ذاق من عنت ومن ارهاقِ
يُغني ألوفَ المترفين بماله ويعيش في فقر وفي إملاقِ

وعلى هذا الغرار قول فارس مراد سعد في قصيدة عنوانها « الحصّاد » مشيراً الى الأغنياء وانهم لولا الفلاّح لما كان لهم في الحياة غنى أو مقام[3] :

ان الألى سمنوا بها لم يسمنوا لولا هزالك كادحاً وهزالي
سمّوا بيوتهم القصور وما اسمها في الحقّ غيرُ سواعدِ العمّالِ
زعموا الأنام عيالَهم ، وعيالُهم وهُمُ على الفلاّح شرُّ عيالِ

(١) الرسالة ٧ – ٩٥ .
(٢) الرسالة ٨ – ٦٥٩ .
(٣) راجعها في الجمهور (بيروت) ١ ع ٤٤ ، وراجع لنفس الكاتب مقالا في القرية الرسالة ٣ – ١٦٢٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد يتحوّل الاشفاق عند بعضهم الى روح عمليّة تهزأ بوصف الخياليين لمحاسن القرية فيجعله اديب لبناني من باب الكذب والتحذير ويطلب من الناس أن يدخلوا القرى ويختبروا عيشة القروي ليروا بأمّ أعينهم ما فيهـا من فساد يجب اصلاحه ومن اقذار يجب ازالتها [١] .

والذي يلاحظ أن الهجرة من القرى الى المدن تزداد سنةً بعد سنة حتى صار يخشى على ثروة البلاد الزراعية • وذلك ما دفع بعض الأدباء الى التحذير من سوء المصير كما ترى في قصيدة لبشارة الخوري يقول فيها [٢] :

أبني أبينـا طال نومكُمُ تشقى النفوس وينعم البَدَنُ
لا الحقل يبسم عن معاولكم فيـه ولا تترنّم المِهَنُ
ذوت الرياض وماؤكم عَمَمٌ وتعطّلت من حَلْيها القننُ
وخَوَت زرائبكم وكان على جَنَباتهـا يندفّق اللَّبَنُ
عودوا الى تلك القرى فلقد سلختكمُ عن قلبها المُدُنُ

وتحمله الذكرى الى عهود القرية السالفة وما كان يسودها من مرح وهناء وكيف تبدّلت حالها اليوم لنزوح أهلهـا • فيحمل على السياسة وحب الوظيفة وما يجد فيهما الجبليّ من مغرياتٍ ليس منها الاّ الضرر على البلاد • والأقوال في هذا الباب كثيرة يتعذّر حصرها [٣] .

***

(١) المكشوف (بيروت) ٢ ع ٦١ .
(٢) الجمهور عدد آب من السنة ١٩٤٠ .
(٣) راجع منها : « غرفة الزهر » لمحمود حسن اسماعيل ـ الرسالة ٨ ـ ٨٢٣ .
قصيدة لعلي شرف الدين الرسالة ١ ع ٢١ .
« العودة الى الريف » لفويد شوكة الرسالة ٢ ـ ١٣٤٩ .
« مساء القرية » لمحي الدين درويش الرسالة ٢ ـ ١٧٥٠ .
« الفلاّح » لفؤاد مراد سعد الجمهور ١ ع ٣١ والطليعة ٣ ـ ٤٨٦ .
وقصيدة للدكتور احمد زكي ابوشادي في ديوانه « عودة الربيع » ١١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحنين : وهو عامّ في معظم الشعر القروي . وأكثره من قبيل التشوّق الى مرح الصبا وعهود الحياة الأولى . والانسان في التفاته الى الماضي كثيراً ما ينسى أوقات الشقاء فتراه مغموراً بنشوة من ذكريات هنيئة . وذلك هو السبب في ما نشعر به من شوقٍ الى ربوع قد لا نرغب الآن في استيطانها . وما أصدق ابن الرومي حين يقول :

وحبّب أوطانَ الرجال اليهم مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ عهودَ الصّبا فيها فحنّوا لذلكا

من هذا القبيل كثير من القصائد الريفية في شتى الأقطار . كقصيدة لعلي محمود طه في ديوانه الملاّح التائه موضوعها «في القرية» نظمها حنيناً الى عهدٍ قديم مصوّراً فيها الريف قرب مدينة دمياط ومطلعها :

غنّي بأودية الربيع وطوفي وصفي الطبيعة يا فتاة الريفِ

ومنها ذاكراً عهوده الأولى :

اني لأذكر حقلنا وليالياً أزهرن في ظلّ لديه وريفِ
ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا تحت العرائش في ظلال اللوفِ
ذكرى الطفولة أنتِ وحدك للصّبا حُلُمٌ يرفّه عنه بالتشويفِ

وبعد ان يعدّد ما مرّ في مخيلته من ذكريات سالفة يصف الغدير الذي كان يألفه ثم يقول :

يا حبّذا هوَ من مراحٍ للصبا والكوخ من مشتى لنا ومصيف

ومثل هذا الشعور يبدو في قصيدة لمحمد الأسمر «تمثّل حال قروي نزل المدينة فأنكر عيشها وحنّ الى قريته»[1] .

ولعلّ الأشواق القروية تصل الى أشدّ حرارتها في شعر المهاجرين اللبنانيين . ففي المهاجر حيث تصطخب أمواج المدنيّة الحديثة وحيث يشتد التنازع على الرزق

(١) ديوانه «تغريدات الصباح» ص ١٨٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ترى الشعر المهجري يشفُّ عن شعور بوحشة الغريب المفارق وعن توق عميق الى الوطن القديم . وسنتناول ذلك بالتفصيل في الفصل المخصّص للأدب المهجري . مجتزئين هنا بالمثل التالي وهو يعكس لنا صوت مهاجر أسيف قد أوحشته الغربة فاشتاق الى قريته اللبنانية والحياة الهانئة فيها ـ وخاطب الفلاح الجبليّ بقوله [1] :

يا حاصدَ الزرع ألقِ الحبل والمنجلْ الشمسُ غابت وأستار الدجى تُسدَلْ
والله بارك يا فلاّح ماتعمل فقل اذ أطربتنا رنّة الجرسِ
ما أعظمَ الكون يا ربّي وما أجملْ

* * *

حلّ السكونُ على الغابات والأكمِ والطيرُ عادت الى الأوكار في الأجم
والنفس تاقت الى الأحلام في الظُّلَمِ فارجع الى الكوخ واجلس بين أولادك
ونمْ خليّاً من الأحزانِ والنَّدم

* * *

لو كنتَ تعلمُ ما القى من الزمنِ وما أُقاسي من الأهوال والمِحَنِ
لكنت تبكي على ناءٍ بلا سَكَنِ يشتاق لبنانَ والاقدار تدفعه
عن الرجوع فواشوقي الى الوطنِ

بيروت أنيس المقدسي

(١) « رياحين الأرواح » لأبي الفضل الوليد (طبعة ٢) ١٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net